إقليم صوماليلاند
من المنظور الإسرائيلية

عبد المهدي مطاوع

صوماليلاند (Somaliland.) إقليم يشغل الجزء الشمالي من جمهورية الصومال، الذي كان يُعرف سابقًا بـ المحمية البريطانية في الصومال. ويطل هذا الإقليم على سواحل بحرية ممتدة على خليج عدن، بطول يزيد عن 850كم، على نحو يمنحه موقعًا محوريًا بمنطقة القرن الإفريقي. ويمثل هذا الإقليم، بواقعه الجيوسياسي الحالي، فرصة استراتيجية سانحة لإسرائيل؛ لتعزيز وجودها في هذه المنطقة، بوصفها واحدة من أهم النقاط الاستراتيجية.

ومن ثم تجري هذه الأيام نقاشات داخل مركز الدراسات الإسرائيلية بشأن ضرورة التعامل مع هذه الفرصة بحكمة وبطريقة غير مباشرة؛ تجنبا للتكلفة السياسية المحتملة لأي تحرك في هذه المنطقة. مع الاهتمام بدراسة المخاطر والتحديات والفرص التي يمكن الاستفادة منها في صوماليلاند. ولعل النقاشات التي أجراها مركز دراسات الأمن القومي الإسرائيلي في هذا الشأن، كانت الأفيد لأن نلقي الضوء على أبرز النقاط في الرؤية الإسرائيلية لهذا الإقليم الانفصالي. والتي يمكن إيجازها في النقاط التالي:

1) **الوضع الفريد لصوماليلاند**: توصف صوماليلاند، من المنظور الإسرائيلي، بأنها «أمر واقع» (de facto) وذات حكم ذاتي فعال، أو أنها «دولة» مستقرة وديمقراطية إلى حد كبير، خلافا لجمهورية الصومال الاتحادية، التي تعاني من الفوضى والضعف. وأنها على الرغم من أنها إقليم غير معترف به دوليا، إلا أنها تسعى للحصول على هذا الاعتراف؛ بوصفها دولة مستقلة ذات سيادة.
2) **المصلحة الإسرائيلية**: تُطرح فكرة أن لإسرائيل مصلحة استراتيجية في تطوير علاقاتها مع صوماليلاند. وأن هذه المصلحة تتمثل في:
   - **الموقع الجيوستراتيجي**، الذي يمكن استغلاله على نحو يحقق مصالح إسرائيل الحيوية؛ خاصة أن صوماليلاند تمتلك ساحلًا طويلاً على خليج عدن وعند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، بالقرب من مضيق باب المندب الممر الحيوي للتجارة العالمية. ومن ثم يمكّن لإسرائيل مراقبة جميع التحركات والأنشطة البحرية، بما في ذلك تلك التابعة لإيران وحلفائها.
   - **مكافحة التهديدات الإقليمية**: يمكن أن تستخدم إسرائيل التعاون مع صوماليلاند أداة لمناوأة النفوذ الإيراني والتركي في منطقة القرن الأفريقي، وكذلك لمحاربة الإرهاب والقرصنة.
   - **كسر العزلة الدبلوماسية**، حيث تقدّم صوماليلاند فرصة لإسرائيل لتوسيع دائرة علاقاتها في منطقة القرن الأفريقي، والتي تُعد ساحة مواتية لتنافس القوى الإقليمية والدولية.
3) **المخاطر والتحديات**:
   - **عدم الاعتراف الدولي**: فأكبر عائق أما إسرائيل، هو عدم الاعتراف الدولي بصفة الدولة المستقلة لصوماليلاند. ومن ثم فإن أي تحرك إسرائيلي علني يجب أن يكون حذرًا؛ لتجنب خلق أزمة مع الاتحاد الأفريقي والدول العربية التي تدعم وحدة الصومال.

- **العلاقة مع الصومال**: فأي اعتراف إسرائيلي بصومالي لاند، سوف يؤدي حتمًا إلى قطع العلاقات مع الحكومة الفيدرالية في مقديشو، والتي لا تعترف بإسرائيل أساسًا ولكنها شريك استراتيجي للغرب.

وبناء على ما سبق قدمت مراكز الدراسات توصيات، مفادها أن تنتهج إسرائيل سياسة تدريجية و«**غير مثيرة للضجة**» فبدلاً من الاعتراف الكامل فورًا، يمكن البدء بتعاون غير رسمي مع صومالي لاند في مجالات الأمن، والتجارة، والزراعة، وتكنولوجيا المياه؛ على نحو يبني علاقة عملية معها، ويتجنب الاستفزاز الدبلوماسي المباشر.

التقدير: يمكن أن نرى، من واقع المقالات والتحليلات التي نشرتها مراكز الدراسات الإسرائيلية حول صومالي لاند، النقاط المهمة التالية:

- أن الرؤية الإسرائيلية تخلو تمامًا من أي اعتبارات أخلاقية، أو حقوقية تتعلق بحق تقرير المصير لشعب صومالي لاند مقابل مبدأ وحدة الأراضي الصومالية.
- أن تركيز مراكز الدراسات الإسرائيلية منصب على «**ماذا يمكن أن تقدم صومالي لاند لإسرائيل**؟». ولعل هذا ما يظهر لنا أولوية **الأمن والمصلحة** في السياسة الخارجية الإسرائيلية.
- هناك إدراك إسرائيلي للفرصة التي يمكن يوفرها وجود دولة صومالي لاند مستقرة، ولكنها غير معترف بها. وهذه قراءة ذكية للخريطة الجيوستراتيجية. فبدلاً من التعامل مع الدول القائمة فقط، فإن إسرائيل تبحث عن شركاء جدد داخل الساحات المهمة، مثل صومالي لاند، مستفيدة من حاجة هذا الإقليم الماسة لأي دعم دولي.
- تقدم مراكز الدراسات خطة متدرجة وحذرة، تبدأ بالتعاون غير الرسمي مع صومالي لاند، تتيح لإسرائيل اختبار الأرضية، وبناء المصالح دون تحمل أي التزام أو تبعات سياسي مكلفة.

وعلى الرغم من ذكر مركز دراسات الأمن القومي الإسرائيلي للتحديات الدبلوماسية، إلا أنه لم يتعمق بشكل كاف في ردة الفعل المحتملة من الدول العربية والإسلامية حيال التحركات الإسرائيلية، خاصة أن هذه الدول قد ترى في هذه التحركات محاولة لتفتيت دولة عربية وإسلامية أخرى، مما قد يزيد من عزلة إسرائيل الدبلوماسية في المحافل الدولية على المدى الطويل، حتى لو حققت مكاسب أمنية آنية.

وتذكرنا هذه الاستراتيجية التي تقترحها مراكز الدراسات بالنهج الإسرائيلي التقليدي، في فترة ما بعد الإعلان عن قيام دولة إسرائيل، عندما سعت لإقامة علاقات مع دول وحكومات على أطراف الدول العربية (أثيوبيا وتركيا وإيران) لكسر الحصار الذي كان مطوقا لها. وها هي اليوم، تعيد تطبيق نفس الاستراتيجية، ولكن في سياق جديد وبتحديات مختلفة.

فصومالي لاند تعد نموذجا واضحا للتفكير الاستراتيجي البرجماتي الإسرائيلي الذي يضع **الأمن والمصلحة** في المقدمة، خاصة في علاقات إسرائيل مع القارة الأفريقية والعالم الإسلامي ككل. وهنا تظل التساؤلات مطروحة: **ماذا لو اعترفت الولايات لمتحدة بهذا الإقليم الانفصالي؟ وهل إثارة موضوع علاقة إسرائيل بهذا الإقليم، يأتي في سياق استباقي لهذا الاحتمال؟**